Volume (25), No. (01) - (April)/(2025)

الحجاج والتواصل، قراءة في الفكر النحوي لابن الأنباري: مسألة الاختلاف في أصل اشتقاق الاسم نموذجا

الحجاج والتواصل، قراءة في الفكر النحوي لابن الأنباري: مسألة الاختلاف في أصل اشتقاق الاسم نموذجا

محمد فلاح الغزال
الأردنية
mohammadalg094@gmial.com

*(Corresponding author) e-mail: mohammadalg094@gmial.com

الملخّص

  ملخص. يسعى هذا البحث إلى إلقاء المزيد من الضوء على جوانب التلاقي بين ضوابط الحجاجية النظرية خصائص عند العرب، وذلك بالاستناد إلى أحد النماذج المُمثلة لمنهجية التفكير النحوي عند العرب (الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين).
    جانب في الحجاج أن من انطلاقا الحجاجي الفعل في والتوجيه التأثير خاصية على السياق هذا في البحث ويركز من جوانبه الوظيفية يرتكز على خاصية التواصل، "فالطابع الاجتماعي للحجاج يظل بُعدا غنيا يدفع المشاركين فيه إلى ابتكار سبل استدلالية متنوعة تكفل تحقيق الاقتناع، ومن ثم إشراك الآخر في قبول الأطروحة المتضمنة في الخطاب" [1].
    الاتصالي بعده في الحجاجي الفعل استظهار الدراسة تسعى الخطاب في الحجاجية الصفة هذه إلى واحتكاما التشاركي في ضوء معالجات الأنباري النحوية وتقييمه لحجج الكوفيين والبصريين، وذلك بالإبانة عن أهم التقنيات التي حملت قيما من التشارك الحجاجي (التواصل) في خطابه.
    مع تساوقا الاتصالي بعده في الحجاج اكتناه بغية التحليلي الوصفي المنهج من الدراسة هذه وستستفيد
يُمكّن أصالة هذه الصفة الحجاجية في الفكر اللغوي عند العرب.
كلمات مفتاحية: الحجاج التواصل التشارك الحجاجي- الخلاف النحوي

[1]. السرتي، زكرياء. الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، عالم الكتب الحديث، إربد، 2014، ص23

ABSTRACT

This research seeks to shed more light on the aspects of convergence between the characteristics of argumentative theory and the controls of linguistic thinking among the Arabs, based on one of the representative models of the methodology of grammatical thinking among the Arabs (Al Insaf fi Masail Al Khilaf Bayna Al Nahawiyeen Al Basriyeen wa Al Kufiyeen).
In this context, the research focuses on the characteristic of influence and direction in the argumentative action, based on the fact that argumentation, in one of its functional aspects, is based on the characteristic of communication. The social feature of argumentation remains a rich dimension that prompts its participants to invent various inferential methods that ensure the achievement of conviction, and then involve the other in accepting the thesis contained in the speech.
Based on this argumentative feature in the speech, the study seeks to demonstrate the argumentative act in its participatory communicative dimension in light of Al-Anbari's grammatical treatments and his evaluation of the arguments of the Kufans and the Basrans, by revealing the most important techniques that carried values of argumentative participation (communication) in his speech.
This study will benefit from the descriptive analytical approach in order to explain the argumentation in its communicative dimension in light of the book "Al-Insaf", in line with what enables the authenticity of this argumentative feature in the linguistic thought of the Arabs

Article history:

Submission Date: 21/05/2024

Reviewing Date: 02/08/2024

Revision Date: 13/01/2025

Acceptance Date: 02/12/2024

Publishing Date: 20/01/2025

DOI:

Keywords:

Funding:

This research received no specific grant from any funding agency in the public, commercial, or not-for-profit sectors.

Competing interest:

No competing interests exist.

Cite as:

الغزال، م. (2025). الحجاج والتواصل، قراءة في الفكر النحوي لابن الأنباري: مسألة الاختلاف في أصل اشتقاق الاسم نموذجا. Jerash for Research and Studies 25 (01).

© The authors (2025). This is an Open Access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution (CC BY NC), which permits non-commercial re-use, distribution, and reproduction in any medium, provided the original work is properly cited. For commercial re-use, please contact admin@jpu.edu.jo.

Vol. 25**, No.** 1**, pp. x-x | January 2025**

DOI: https://doi.org/10.9622/jrs.v25i01

الحجاج والتواصل، قراءة في الفكر النحوي لابن الأنباري: مسألة الاختلاف في أصل اشتقاق الاسم نموذجا

A READING OF IBN AL-ANBARI'S GRAMMATICAL THOUGHT: THE ISSUE OF THE DIFFERENCE IN THE ORIGIN OF THE NOUN'S DERIVATION AS AN EXAMPLE

*[i] محمد فلاح محمد الغزال، [i] أحمد أبو دلو

[i] جامعة اليرموك، الأردن

*(Corresponding author) e-mail: mohammadalg094@gmial.com

Article history:
Submission date: **21 May 2024**
Received in revised form: **08 July 2024**
Acceptance date: **24 July 2024**
Available online: **21 January 2025**

Keywords:
argumentation, communication, argumentative participation, grammatical disagreement.

Funding:

Competing interest:
The author(s) have declared that no competing interests exist.

Cite as
الغزال م. ف. (2025). الحجاج والتواصل، قراءة في الفكر النحوي لابن الأنباري: مسألة الاختلاف في أصل اشتقاق الاسم نموذجا . مجلة جرش للبحوث والدراسات, 25(01).
https://doi.org/10.9622/jrs.v25i01.84

© The authors (2025). This is an Open Access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution (CC BY NC) (http://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/), which permits non-commercial re-use, distribution, and reproduction in any medium, provided the original work is properly cited. For commercial re-use, please contact admin@jpu.edu.jo.

ABSTRACT

It should be noted that the grammatical discourse in the book "Al Insaf fi Masail Al Khilaf Bayna Al Nahawiyeen Al Basriyeen wa Al Kufiyeen" by Ibn al-Anbari, belongs to functional grammar. The circumstances of the discourse in the book showed Ibn Al-Anbari's interest in three elements: the ideal or (grammatical) speaker, the addressee, and the discourse with its contextual, positional, and argumentative characteristics. The purpose of this research is to uncover aspects of convergence between the grammatical thought in Ibn al-Anbari's discourse and the argumentative theory in its communicative aspect. Participation (communication) is an essential component of argumentative theory; the persuasive function of argument remains a fundamental requirement that drives participants in the discourse to search for ways to influence the other and involve him in accepting the theses included in the discourse. The theoretical foundations in light of which Al-Anbari addressed the grammatical disagreement issues are consistent, and clearly demonstrate the argumentative action in its communicative dimension. The techniques he employed in his treatments (dialogical structures, directive verbs, declarative interrogatives, and verb attributed to the collective pronoun) reveal the aspects of communicative argumentation in his discourse. This study has relied on the descriptive analytical methodology, in order to probe the evidence that enables the authenticity of this argumentative aspect (interaction, participation) in the linguistic lesson among the Arabs.

ملخص البحث

تجدر الإشارة إلى أن الخطاب النحوي في كتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين" لابن الأنباري ينتمي إلى النحو الوظيفي؛ إذ أظهرتْ ملابسات الخطاب – الكائنة فيه- اهتمام ابن الأنباري بعناصر ثلاثة: المتكلم المثالي أو (النحوي)، والمخاطَب، والخطاب بخصائصه السياقية والمقامية والحجاجية...

وقد تغيّا هذا البحث الكشف عن مظاهر التقارب بين الفكر النحوي في خطاب ابن الأنباري والنظرية الحجاجية في مظهرها التواصلي؛ فالتشاركيّة (التواصل) مُقـوِّم أصيل في النظرية الحجاجية؛ إذ الوظيفة الإقناعية للحجاج تظل مقتضى جوهريا يدفع المشاركين في الخطاب إلى البحث عن سبل التأثير في الآخر، وإشراكه في قبول الأطاريح المضمَّنة في الخطاب .

وتعدّ الأسس النظرية التي عالج الأنباري في ضوئها قضايا الخلاف النحوي متساوقة وبينة الفعل الحجاجي في بُعده التواصلي؛ إذ أبانتْ التقنيات التي وظفها في معالجاته من (البِنى الحوارية، وأفعال التوجيه، والاستفهام التقريري، والفعل المسند إلى ضمير الجماعة) عن مظاهر الحجاج التواصلي في خطابه .

وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي؛ بغية اكتناه الأدلة التي تُمكِّن أصالة هذا المظهر الحجاجي (التفاعل، التشارك) في الدرس اللغوي عند العرب .

كلمات مفتاحية: الحجاج- التواصل- التشارك الحجاجي- الخلاف النحوي

المقدمة

يسعى هذا البحث إلى إلقاء المزيد من النظر على جوانب التلاقي بين خصائص النظرية الحجاجية وضوابط التفكير اللغوي عند العرب، وذلك بالاستناد إلى أحد النماذج الممثلة لمنهجية التفكير النحوي عند العرب (الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين)[1].

[1] . الأنباري، عبد الرحمن بن محمد، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: عبد الحميد، محمد محيي الدين، المكتبة العصرية، بيروت، 2003.

وستحاول هذه الدراسة الكشف عن معالم الحجاج في بعده التفاعلي (الاتصالي) في ضوء المسالك اللغوية التي انتهجها الأنباري في مؤلفه وذلك في ضوء ما اقتضته ملابسات الخطاب من استعراض لإشكالات النحاة ومناقشتها والتعقيب عليها إمّا بالتأييد، أو الاعتراض، ثم سوق الأدلة النقلية أو العقلية الداعمة لحجة هذا أو ذاك.

وتتخذ الدراسة من الحجاج في مظهره التشاركي أو التواصلي مادة للبحث والتحليل لأن الحجاج مقامي اجتماعي، إذ أن هذا الطابع فيه "يظل بُعدا غنيا يدفع المشاركين فيه إلى ابتكار سبل استدلالية متنوعة تكفل تحقيق الاقتناع، ومن ثم إشراك الآخر في قبول الأطروحة المتضمنة في الخطاب"[2].

واحتكاما إلى هذه الصفة الحجاجية في الخطاب تسعى الدراسة استظهار الفعل الحجاجي في بعده الاتصالي التشاركي في ضوء معالجات الأنباري النحوية وتقييمه لحجج الكوفيين والبصريين، وذلك بالإبانة عن أهم التقنيات التي حملت قيما من التشارك الحجاجي (التواصل) في خطابه.

وستستفيد هذه الدراسة من المنهج الوصفي التحليلي بغية اكتناه الحجاج في بعده الاتصالي تساوقا مع يُمكّن أصالة هذه الصفة الحجاجية في الفكر اللغوي عند العرب.

توطئة

الحجاج لغة: القصد، وحجه يحجه حجا قصده وحججت فلانا واعتمدته أي قصدته. ورجل محجوج أي مقصود"[3] . وقد جاءت الصيغة في اشتقاقها دالّة على التفاعل من نحو "تحاجّ" على التخاصم، فقالوا: " والتحاجّ: التخاصم؛ وجمع الحجة حُجَج وحِجاج، وحاجّه محاجّة وحجاجا: نازعه الحجة"[4] . (الْحُجَّةُ) الْبُرْهَانُ وَ (حَاجَّهُ فَحَجَّهُ) مِنْ بَابِ رَدَّ أَيْ غَلَبَهُ بِالْحُجَّةِ".[5]

أما الحجاج اصطلاحا؛ فتتعدد التعريفات الاصطلاحية للحجاج، وذلك تبعا لتنوع الحقول المعرفية التي بنيت عليها النظرية الحجاجية، أضف إلى ذلك تعدد الأغراض والمقاصد التي يرومها صاحب الحجة عندما يقدم حجته إلى الآخرين وما يترتب عليها من اقتضاء حجته لضوابط منها ماهو جدلي وبرهاني ولغوي...

[2]. السرتي، زكرياء، الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، عالم الكتب الحديث، إربد، 2014، ص23
[3]. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ج2، ص 226
[4]. المرجع نفسه، ص230
[5]. الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ت: يوسف الشيخ، المكتبة العصرية، بيروت، ط5، 1999، ص66

على أنه تجدر الإشارة إلى أن المشكاة التي خرجت منها المصطلحات الحجاجية ظلت تتفق على أن الحجاج في بعده الوظيفي العام يحوم حول فكرة تحقيق الإقناع عند المخاطب.

وتحقيقا لما سبق فإنه يمكن القول: أن الأساس النظري للحجاج مرّ بأطوار عدة؛ إذ نشأ في حضن المنطق "متخذا من القيم والمثل والأخلاق سبلا في صناعة الخطاب، فكان أقرب للمثالية"[6]، ثم قُرِن الحجاج بعد ذلك بالجدل والخطاب "وقد كان في بعده الجدلي تبكيتيا يروم غلبة الخصم، أما في بعده الخطابي فقد كان إقناعيا؛ أي أن الجدال قد ينتهي دون أن يتمكن السائل من إقناع المجيب".[7]

ومع توجه سهام المدارس اللسانية إلى استظهار وظيفة الحجاج لغويا، بيّن بيرلمان أن الحجاج مرتبط بالمقولات البلاغية وعلى ذلك فإن الحجاج: "يعنى بدراسة التقنيات الخطابية التي تسعى إلى إثارة النفوس وكسب العقول عبر عرض الحجج"[8] ، ثم تبعه ديكرو الذي وجّه الحجاج في بعده التكويني إلى وجود "وسائل لغوية يوفرها المتكلم في خطابه يحقق الخطاب بها مقاصد المتكلم ويحقق أهدافه الحجاجية".[9]

ضوابط التشارك الحجاجي

أسهمت النظريات التي عنيت بالحجاج في بعده اللغوي التداولي في إبراز صفة التشارك (التفاعل) في الفعل الحجاجي، انطلاقا من أن اللغة تهدف في جوهرها إلى التأثير والتوجيه، وشاهد ذلك: أن أوليرون أوضح في تعريفه للحجاج أن "البحث عن إشراك الآخر في الاقتناع"[10] يعد جزءا من الوظائف المنوطة بالنظرية الحجاجية، ولعل هذا المنطق اللغوي يتأتى في ضوء ثلاثة مراحل تتحقق بها عملية التواصل أو التشارك، وهي:

أ. النموذج الوصلي للحجة، وتكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة وصل، إذ تُعامل الحجة معاملة البناء الاستدلالي الذي تكون عناصره موصولة وصلا تاما.

ب. النموذج الإيصالي للحجة، وتكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة إيصال، لأنه يجعل من الحجة فعلا استدلاليا يتوجه به المتكلم إلى المستمع.

---

6. الطلبة، محمد سالم، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتب الجديدة المتحدة، ليبيا،2008، ص 31،28
7. الريفي، هشام، الحجاج عند أرسطو، بحث منشور ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، إشراف: حمودي صمود، الناشر: جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ، تونس، 1998، ص132
8. الحباشنة، صابر، التداولية والحجاج مداخل ونصوص. صفحات للنشر، دمشق، 2008، ص15
9. الغزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، الناشر: العمدة في الطبع، المغرب، 2006، ص14
10. الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، مرجع سابق، ص73

ج. النموذج الاتصالي للحجة، وتكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة اتصال، إذ يُنظر إلى الحجة بوصفها فعلا مشتركا بين المتكلم والمستمع، جامعا بين توجيه الأول وتقويم الثاني".[11]

مكونات التشارك الحجاجي

ينشأ التشارك الحجاجي باقتضاء الخطاب لأطرافه المكونة لأبعاده، إذ "إن المتكلم في خطابه أيا كان إنما يقصد مبادلة الآخر أفكاره، فالمتكلم يلزم عنه وجود مُخاطَب وإن كان المخاطب ذاتا تتلقى دون أن تحاور"[12] على أن المتكلم يتوخى السبل التي تنمي عند الآخر قبول خطابه ومشاركته إيّاه، بما يبثه في ذلك الخطاب من موجهات لغوية تسهم في التأثير في المتلقي والإذعان لمراد المتكلم، ويعضد ذلك في الخطاب وضوح المقصد وسلمية التراكيب.

ولعل من البدهي ألّا يكون حضور المخاطب مُلزِما وقت إنتاج الأفكار، فقد يكون مفترضا غائبا، "فكل تلفظ يقتضي مُخاطِبا ومُخاطَبا وفي تقدير الأول أن يؤثر في الثاني ".[13]

ويعد المتكلم محور العملية الخطابية التحاورية؛ كونه المؤسس للخطاب اللغوي، والمتبني لصفته، والمحدد لمتلقيه؛ "فالمتكلم واحد بأشخاصه كثير بأدواره"[14] ، وتجدر الإشارة إلى أن الخطاب المنجَز بهذه الصيغة يعد سببا في تشكل القيم الحجاجية ذات المنحى التشاركي.

ويعد هذا النوع من الخطاب نمطا من الأنماط التداولية في اللغة؛ إذ إن ماهية الخطاب هي من تحدد السمت الوظيفي الذي يمكن أن تؤديه اللغة في هذا المقام، وتعد الوظيفة التفاعلية للغة مظهرا من مظاهر استعمال اللغة لتحقيق صفة التشارك، ولا يخلو استعمال اللغة بهذه الصفة من مقومات الفعل الحجاجي وذلك راجع إلى مقتضيات الاستعمال في هذا السياق والتي تتطلب "تبادل المشاعر والأفكار بين الفرد والآخرين"[15]، وقد كانت عبارة هاليدي الموجزة" "أنا وأنت" [16] تأكيدا لهذا التوجه الفكري في اللغة، وتلك

[11]. عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1998، ص256،255

[12]. المتوكل، أحمد، الخطاب وخصائص اللغة العربية، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط، 2010ص:33

[13]. الذات والآخر (الحجاج أنموذجا)، جعفورة، محمد، نقلا عن كتاب (Problemes de Linguistique Generale) لبينفنيست، دار الكتب العلمية، بيروت، 2016، ص: 10

[14]. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، مرجع سابق، ص: 275

[15]. عمر، بوقمرة، وظائف اللغة في ضوء نظريات الاستعمال(وظيفتا الإنجاز والحجاج أنموذجا)، بحث منشور، مجلد 24، العدد1 الجزائر، 2017، ص: 19

[16]. هاليدي، وظائف اللغة، ترجمة: محمود نحلة، مجلة اللسان العربي، الرباط، العدد54، 2002، ص: 115

الغاية تتساوق ضمنيا والنظرية الحجاجية التي تعنى بدراسة التقنيات الخطابية الهادفة إلى إثارة الأذهان وإدماجها في الأطروحة المقدمة".

17

وبهذه الأسس المعرفية في الدرس الحجاجي يمكن للدارس أن يلحظ خاصية التشاركية في الخطاب اللغوي. ويؤدي إضفاء التشاركية على الحدث الكلامي أكثر من مقصد يبتغيه أطراف الخطاب، وبذلك تبرز فيه مقومات الفعل الحجاجي؛ إذ يروم المتكلم ابتداءً نقل أفكاره للمتلقي مستعملا موجهات لغوية بغرض الإقناع، ثم يسعى بعد ذلك إلى تحقيق هدفه الأسمى، والذي يتمثل باستدراج المتلقي للوصول إلى درجة الاقتناع، على أن هذه المقاصد ببنيتها السطحية (الألفاظ) لا تقتضي وجوب استجابة المتلقي، "فالمرسل عندما يطالب غيره بمشاركته معتقداته، فإنه يتجنب الدوال التي يلزم عنها الإكراه، كما أنه لا يتتبع منهج القمع، وإنما يتتبع في تحصيل غرضها سُبلا استدلالية متنوعة تجرّ الغير جرًا إلى الاقتناع برأي المحاور"[18] ، وعلى ذلك فإن المتكلم يكون قد مارس الحجاج تدرجا؛ إذ تُلتمَس القيم الحجاجية في الأدلة التي يستشهد بها المتكلم ابتداء، ومن ثم في النتائج التي يتوصل إليها، وبهذا السلوك اللغوي فإن الحجاج لا يكون "مقتصرا على الملفوظات التي غايتها الإقناع، وإنما يشمل ملفوظات أخرى تريد التأثير في الآخر وتحمله على تبني الأطروحات التي يقدمها المتكلم".[19]

التشارك الحجاجي في الفكر النحوي لابن الأنباري

يمكن القول: إن بنية الخطاب التي انتهجها ابن الأنباري في إنصافه قد راعت القيم التي انكشفت معها الوظيفة التفاعلية للغة؛ فخطابه يعد امتدادا للخطاب النحوي في تكوينه، فهو يحمل في ثناياه: "عناصر التخاطب، وفاعلية الذين يشاركون في إنتاجه، وهم: الإعرابي، أو المتكلم المثالي واللغوي أو الراوي، والنحوي، أو المخاطِب، والمتلقي، أو المخاطَب، العربي أو الأعجمي"[20]. ولا غرو أن القضية النحوية الخلافية تعد جالبة لهذه العناصر.

[17]. طروس، محمد، النظرية الحجاجية، مكتبة الأدب المغربي، دار الثقافة، المغرب، 2005، ص: 44
[18]. عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2000، ص: 38
[19]. هاليدي، وظائف اللغة، ترجمة: محمود نحلة، مجلة اللسان العربي، الرباط، العدد54، 2002، ص: 115
[20]. بوعلي، فؤاد، الأسس المنهجية والمعرفية للخطاب النحوي العربي، ط1، 2011، عالم الكتب الحديث، إربد، ص: 15

ويتساوق الخطاب النحوي بهذه الصفة – في مكوناته – مع بنية الدرس الحجاجي؛ ذلك أن "الحجاج يقوم على ثلاثة عناصر: "المحتجين والموضوع والحجة الصحيحة، حيث يشرع المحتجون بالعملية الحجاجية بدءا بالمقدمة، فالموضوع أو القضية، فالنتيجة، وينتهي بالقبول المفضي إلى التسليم بالأدلة والاقتناع دون إكراه"[21].

ومن هذا المنطلق فإن الصِبغة الحوارية التشاركية تعد مظهرا قارا في الفكر النحوي للأنباري، وما سعيه لإظهار الآراء المتخالفة والانتصار لرأي دون آخر إلا تجسيدا لذلك، ولا شك أن "الحوار من أهم أشكال التفاعل اللفظي، وهو المجال الطبيعي الذي يقع فيه الحجاج بامتياز ".[22]

وفي ضوء تتبع الدراسة لبنية الخطاب التفاعلي في كتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف"، فقد تبدّى للدارس أنها قد وُجِّهت وفق مسلكين:

أ). مسلك ابتغى فيه المتكلم حمل متلقي اللغة – وهو الطرف المحايد– على شيئين: أولاهما الاقتناع بالرأي أو التوجه الذي يتبناه أو يدافع عنه، وثانيهما: جعله طرفا شريكا في تبني أطروحاته.

ب) أما المسلك الآخر؛ فقد سعى في ضوئه إلى مناجزة النحوي المعارَض في أطروحته، وذلك من خلال استعمال أفعال حجاجية رام منها إبطال تلك الأطروحة ونقضها، وهو بذلك يكون قد شارك النحوي المعارَض في أدلته لا لغاية التسليم بصحتها، بل بغرض نقدها، ومن ثم إقامة الحجة عليه إن بدا له نواقص تعتريها، وبهذا فإنه يترجح القول: إن المنجز اللغوي (النحوي) لابن الأنباري يتماهى "مع ما يقتضيه الخطاب الطبيعي من مرونة وتبدل يناسب تحولات السياق ويتناسق مع مجريات الأخذ والرد والادعاء والاعتراض والقبول والرفض، بما في ذلك تبدل قناعات المرسل إليه، وتحوله من موقف إلى موقف آخر، واكتفاؤه بحجة بسيطة أو طلبه حجة قوية"[23].

وبهذه التداعيات المصاحبة لتحولات السياق في الخطاب اللغوي عند ابن الأنباري بين أطراف التحاجّ يستطيع الدارس أن يكتشف أن السمت التشاركي جاء مصحوبا بالطاقات الحجاجية تبعا لمقتضيات الخطاب، وقد كثُرتْ الدوال اللغوية في خطابه – من مثل "قلنا" " أنك تقول" " فلما لم تقل". ألا ترى– لتكون تمثيلا حيا لهذه الظاهرة.

[21] . عكاشة، محمود، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة (دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم)، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2013، ص: 46

22. الغزاوي، أبو بكر، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرقاب الحديثة، بيروت، 2010، ص: 53

[23]. الشهري، عبد القادر بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004، ص: 458/457

وفي هذا السياق تعرض الدراسة جانبا من التقنيات اللغوية التي تعد تمثيلا لخاصية التشارك الحجاجي في ضوء المسألة الخلافية (أصل اشتقاق الاسم) .

الاختلاف في أصل اشتقاق الاسم (قراءة في تقنيات الحجاج التشاركي)

ظهرت في هذه المسألة جملة من التقنيات التي تحيل إلى آلية التشارك الحجاجي في الفكر النحوي لابن الأنباري وذلك على النحو الآتي:

التشارك الحجاجي باستعمال ضمير الجماعة

وظّف الانباري في خطابه أفعالا إخبارية مسندة إلى ضمير المتكلم وضمير الغيبة؛ وتدل بنية هذه الأفعال على افتراض وجود طرفين في المنتج الحواري: المعترِض بما يقدمه من اعتراض مُمكّنًا بآراء النحاة القائلين بالحجة النحوية على شاكلته، والمعترَض عليه بما يسوقه من حجج مخالفة. ومن ذلك موافقة ابن الأنباري البصريين في أن الاسم مشتق من السمو، ليخالف بذلك ادّعاء الكوفيين الذين يرون أنه مشتق من الوَسْم، ومنشؤ ذلك حسب ادعائهم: "أنّ الوَسْم في اللغة هو العلامة الاسم سمةٌ تُوضَع على الشيء يعرف بها. والأصل في اسم وسم، إلا أنه حذفت منه الفاء التي هي الواو في وَسْم، وزيدت الهمزة في أوله عِوَضًا عن المحذوف، ووزنه إِعْلٌ؛ لحذف الفاء منه".[24]

وقد ظهرت بؤر التشارك الحجاجي في غير موضع تبعا لاعتراض الأنباري؛ فعندما ينظر الدارس في مقدمة الاعتراض: "وأما الجواب عن كلمات الكوفيين: قولهم "إنما قلنا إنه مشتق من الوَسْم لأن الوَسْم في اللغة العلامة، والاسم وَسْمٌ على المسمَّى وعلامة عليه يعرف به" قلنا: هذا وكان صحيحًا من جهة المعنى إلا أنه فاسد من جهة اللفظ، وهذه الصناعة لفظية، فلا بدَّ فيها من مراعاة اللفظ".[25] يلحظ أن الضمير المتصل في الفعل (قلنا) يحيل إلى قيمة حجاجية تشاركية؛ وذلك لأن المضمون القضوي يُفضي إلى أصل مشترك يقول به أكثر النحويين(البصريين)، فالمستدل (الأنباري) لا ينطلق في استدلاله من تصور جماعي، وبهذا تعلو القيمة الحجاجية للحجة عند المخاطب، وتصبح أوغل في الإقناع.

[24]. الأنباري، عبد الرحمن بن محمد، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، بيروت، 2003، ج1، ص8
[25]. المرجع نفسه، ص9

ولأن النسق العِلِيّ المتصاعد سمْتٌ عند ابن الأنباري في اعتراضاته، فإنّ الدارس يستطيع أن يلتمس قرارة بؤر التشارك الحجاجي في كل محتوى قضوي في ثنايا هذه المسألة، وشاهد ذلك قوله: "أجمعنا على أن الهمزة في أوله همزة التعويض، وهمزة التعويض إنما تقع تعويضًا عن حذف اللام، لا عن حذف الفاء".[26]

إن احتراز الأنباري بالبنية (أجمعنا) في المحتوى القضوي يكشف عن سمة التشارك الكائنة في الفعل الحجاجي؛ فهو يستند إلى أصل مُجمَعٍ عليه عند معظم نحاة الخلاف: البصريين والكوفيين، وهذا – في اعتقادي – يزيد من الإمكانات الحجاجية في البنية القولية ويقويها، ثم إن الاستدلال بما كان أصلا مشتركا بين النحاة يجعل المخاطب أكثر اقتناعا باختياراته النحوية.

التشارك الحجاجي باستخدام تقنية الاستفهام التقريري.

يعد استعمال الأنباري أفعالا إنشائية —كالاستفهام – يخالف محتواها القضوي معناها الإنجازي، مؤشرا على خاصية التشارك الحجاجي، ولعل ذلك ينجلي في توظيف الأنباري صيغ الاستفهام من نحو "ألا ترى" في جانبٍ من اعتراضاته النحوية؛ إذ يعد هذا التطريز من الأفعال الكلامية بنية مُوجَّهة بما يقتضيه من مخاطب متلقي. وباستعماله هذا التطريز في جداله اللغوي يتضح أنه لا يريد مشاركة المتلقي آراءه وإقناعه بها فحسب، بل يحمل في طياته إشارة مقصدية خفية؛ فالمظهر الإنجازي للاستفهام في هذا السياق يحمل المتلقي على الإقرار بحجية الدليل نفسه، وربما إلى ما هو أبعد من ذلك؛ أي تبني الدليل نفسه. ومن مظاهر ذلك قوله فيما جرى فيه التعويض بالهمز عن حذف اللام في مواضع مشابهة من الكلم: "ألا ترى أنهم لما حذفوا اللام التي هي الواو من بَنَوٍ عوَّضوا عنها الهمزة في أوله فقالوا: ابْنٌ، ولما حذفوا الفاء التي هي الواو من وِعْدٍ لم يعوِّضوا عنها الهمزة في أوله فلم يقولوا إِعْدٌ، وإنما عوضوا عنها الهاء في آخره فقالوا: عِدَة؛ لأن القياس فيما حُذِفَ منه لامُه أن يُعَوَّض بالهمزة في أوله، وفيما حذف منه فاؤه أن يعوض بالهاء في آخره".[27]

ومن ذلك أيضا استدلاله على أن الياء منقلبة عن واو في (أسميته) جريا على الفعل المضارع الذي تُعلّ واوه إنه وقعت رابعة. يقول في ذلك: "وإنما حملوا الماضي على المضارع مراعاة لما بَنَوْا عليه كلامهم من اعتبار حكم المشاكلة، والمحافظة على أن تجري الأبواب على سَنَن واحدة، ألا ترى أنهم حملوا المضارع على الماضي إذا اتصل به ضمير جماعة النسوة نحو "تَضْرِبْنَ" وحذفوا الهمزة من أخوات "أُكْرِمُ" نحو "نُكْرِم، وتُكْرِم، ويُكْرِم" والأصل فيه "نُؤَكْرِم، وتُؤَكْرِم، ويُؤَكْرِم" كما قال: فإنه أهل لأن يُؤَكْرَما حملًا على أُكْرِم وإنما حذفت

[26]. المرجع نفسه، ص: 10
[27]. المرجع نفسه، ص: 10

إحدى الهمزتين من "أُكرم" لأن الأصل فيه "أَأَكْرِم" فلما اجتمع فيه همزتان كرهوا اجتماعهما؛ فحذفوا إحداهما تخفيفًا، ثم حملوا سائر أخواتها عليها في الحذف".[28]

إن استدراج المخاطب – باستخدام تقنية الاستفهام التقريري– إلى ما يحكم الظواهر اللغوية من علل تشابه يصلح في ضوئها إصدار الاحكام ما هو إلا قيمة حجاجية مُضافة تعضد ما يبتغي تحقيقه من مظاهر إنجازية تصل بالمتلقي إلى درجة الاقتناع.

وتجدر الإشارة إلى أن توالي تكرار هذا النمط من صيغ الاستفهام يمنح الحدث الكلامي مزيدا من الطاقات الحجاجية؛ إذ يعد استعماله أداة لتأكيد مبتغاه من القضية النحوية؛ على ألا يغفل ما فيه من قيمة جذب للمخاطب ليكون جزءا أصيلا في المساهمة في إقرار الحكم النحوي. وبهذا المنطق اللغوي يمكن القول: إن مبدأ التشارك الحجاجي سيكون عنصرًا متأصلًا في بنية خطابه اللغوي.

التشارك الحجاجي باستخدام تقنية أفعال التوجيه

تعد البنية الكلامية المصدرة بالفعل **(يدل)** مسلكا من مسالك أفعال التوجيه في استعمالات ابن الأنباري، ولا غرو أن التوجيه في اللغة محمول على **وجود مخاطب افتراضي**. وتكمن القيمة الحجاجية لفعل التوجيه في كونه أداة (عاملا) يسهم في تحويل الإمكانات الحجاجية إلى ما يتعارض مع حجة الخصم، كما أنه يحمل في طياته تنبيها للمخاطب على ما في حجة الخصم من قصور أو تنافي مع الأصول المقرّة للأحكام، وبيان ذلك قول ابن الأنباري في حجية حذف لام كلمة من الدال (اسم): "والذي يدل على صحة ذلك أنه لا يوجد في كلامهم ما حذف فاؤه وعوِّض بالهمزة في أوله، كما لا يوجد في كلامهم ما حذف لامه وعُوِّض بالهاء في آخره"[29]

ويلحظ أن هذا التوجيه قد جاء محيلا إلى ما يدعم حجته، وذلك باستعمال الضمير الدال على الجماعة، نحو قوله: "فلما **وجدنا** في أول "اسم" همزة التعويض علمنا أنه محذوف اللام، لا محذوف الفاء"،[30] لتصطبغ المقولة الحجاجية بصفة التشاركية على امتداد محتواها القضوي؛ إذ لا يبني استدلاله على تصور فردي، وإنما يصدر من تصور مذهبي جماعي، وهذا سمت تشاركي في الحجاج.

التشارك الحجاجي باستخدام تقنية البنى الحوارية

تمثل البنية الحوارية التي تظهر في البنى الكلامية للأنباري مناطا لعملية التشارك الحجاجي، وقد تمثلت هذه البنى في عرض الرأي النحوي، ثم الاعتراض عليه، على أن يكون هذا الاعتراض تمهيدا للنتيجة المخالفة لرأي العارض، وفي اعتقادي أن هذا السمت الحواري

[28]. المرجع نفسه، ص: 12
[29]. المرجع نفسه، ص: 10
[30]. المرجع نفسه، ص: 10

يضع بين يدي المتلقي ذرائع يستطيع في ضوئها أن يجزم بان الصيغة الحوارية للقضايا المختلف فيها قد سارت وفق أسس منطقية لا تتعارض مع ضوابط اللغة.

ويمكن القول: إن سير الخطاب في هذا الاتجاه سيمنح الحدث الكلامي مزيدا من الطاقات الحجاجية مما يجعل المتلقي في أعلى درجات الاقتناع، وقد أورد ابن الأنباري في هذا السياق جملة من الأدلة الداعمة للتوجه القائل بمادة اشتقاق الاسم لتكون واصفة للتشارك الحواري وما يكتنهه من قيم حجاجية. يقول: "والوجه الثاني أنك تقول "أَسْمَيتُه" ولو كان مشتقًّا من الوَسْم لوجب أن تقول "وَسَمْتُه" فلما لم تقل إلا "أسميت" دلَّ على أنه من السُّمُوّ، وكان الأصل فيه "أَسْمَوتُ"، إلا أن الواو التي هي اللام لما وقعت رابعة قلبت ياء، كما قالوا: أَعْلَيْتُ، وأدعيت، والأصل: أعلوت، وأدعوت، إلا أنه لما وقعت الواو رابعة قلبت ياء، فكذلك ها هنا".[31]

والوجه الثالث: أنك تقول في تصغيره "سُمَيّ" ولو كان مشتقّا من الوَسْم لكان يجب أن تقول في تصغيره "وُسَيْم" كما يجب أن تقول في تصغير زِنَة: وُزَيْنَة، وفي تصغير عِدَة: وُعَيْدَة؛ لأن التصغير يردُّ الأشياء إلى أصولها، فلما لم يجز أن يقال إلا سُمَي دلَّ على أنه مشتق من السُّمُوّ، لا من الوَسْمِ. والأصل في سُمَيّ: سُمَيْو، إلا أنه لما اجتمعت الياء والواو والسابق منهما ساكن قلبوا الواو ياء، وجعلوهما ياء مشدّدة، كما قالوا: سيِّد وجيِّد وهيِّن وميِّت".[32]

والوجه الرابع: أنك تقول في تكسير "أَسْمَاء" ولو كان مشتقًّا من الوَسْم لوجب أن تقول: أوسام، وأواسيم؛ فلما لم يجز أن يقال إلا أسماء دلَّ على أنه مشتقّ من السُّمُوّ، لا من الوَسْمِ. والأصل في أَسْمَاء أَسْمَاو، إلا أنه لما وقعت الواو طرفًا وقبلها ألف زائد قلبت همزة كما قالوا: سَمَاء، وكَسَاء، ورَجَاء، ونَجَاء. والأصل فيه: سماو، وكساو، ورجاو، ونجاو؛ لقولهم: سَمَوْت وكَسَوْت ورَجَوْت ونَجَوْت، إلا أنه لما وقعت الواو طرفًا وقبلها ألف زائدة قلبت همزة"[33]

لقد حرص ابن الأنباري في ضوء الأدلة الآنفة على استخدام لغة تفاعلية مع المعارَض نحو "أنك تقول" " فلما لم تقل " لوجب أن تقول"، كما قالو، ويعد توالي هذه البنى اللغوية على اختلاف الأدلة المسوقة للاعتراض تمثيلا لتدفق المزيد من الأدوات الإقناعية التي يمارس فيها حجاجه؛ نظرا لما يستكنّ في بنيتها من محاولة إظهار عجز طرف الخلاف، وذلك للقصور الكائن في استقصائه أوْجُه

[31]. المرجع نفسه، ص: 11
[32]. المرجع نفسه، ص: 13
[33]. المرجع نفسه، ص: 14

المسألة؛ فهو يشارك المعترض بمقدمة نحوية تعد وجها صحيحا للاستعمال عند كليهما، ثم ما يلبث أن يقدح في علله في ضوء تلك المقدمة النحوية، لتكون بنية المنتج الحواري مؤدية إلى مرام المعترض ومقصده المتمثل بإبطال الفرضية القائلة بأن الاسم مشتق من الوسم.

التشارك الحجاجي باستخدام سلطة الدليل النقلي

يعد الدليل النقلي أحد الأفعال الحجاجية التي وظفها الأنباري في إثبات أصل اشتقاق الاسم، ومن ذلك قوله: "قد جاء عن العرب أنهم قالوا في اسم: سُمًى، على مثال عُلًى، والأصل فيه سُمَوٌ، إلا أنهم قلبوا الواو منه ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها، فصار سُمًى، قال الشاعر:

"واللهُ أَسْمَاكَ سُمًى مُبَارَكًا ... آثرَكَ الله به إيثَارَكَا"[34]

أما عن البعد التشاركي الحجاجي للدليل النقلي، فمن الممكن القول: إن الدليل النقلي يعد أصلا مشتركا بين النحوي ومتلقي الخطاب اللغوي؛ إذ إن كليهما يعدّه مرجعا أصيلا في تقعيد الظاهرة النحوية، وزيادة على ذلك فإن الدليل أداة يمارس بها المحاجج سلطته على المخاطب لتكتسب الحجة بهذه الصفة تسويغا ينتهي بالمخاطب إلى الاقتناع، وعلى ذلك فإنه يمكن القول: إن القصدية في باستعمال ابن الأنباري الدليل النقلي تكمن في جعل المتلقي عنصرا مشاركا في تبني الدليل والنتيجة وليس الاقتناع بها فحسب؛ جراء ما يحويه الدليل النقلي من طاقات حجاجية تحقق مصداقية القاعدة اللغوية.

الخاتمة

1. جاء الخطاب اللغوي عند نحاة العرب عامة والأنباري خاصة في بعده الفكري محققا لخاصية التفاعل اللغوي، وذلك بما افترضته ملابسات الخطاب من اقتضاء عناصره المكونة له (المتكلم (الراوي أو النحوي، والمخاطب العربي أو الأعجمي، ومقتضيات الخطاب).
2. جاءت الأسس النظرية التي اتخذها الأنباري في معالجاته قضايا الخلاف النحوي وتقييمها متساوقة وبنية الفعل الحجاجي – في بُعده التواصلي –، وذلك لما تضمنته ملابسات الخطاب من إشراك للمخاطب بصنفيه: المعارَض والمحايد الغائب في الأدلة التي يسوقها دليلا على صحة الحجة اللغوية في سياق ما أو بطلانها في سياق آخر.

[34]. المرجع نفسه، ص: 14

3. أظهرت التقنيات اللغوية في تقييمات الأنباري لرأي المتخالفين في مسألة (الاختلاف في أصل اشتقاق الاسم)؛ – من مثل استعمال البنى الحوارية، والأفعال التوجيهية، والاستفهام التقريري، والضمير الدال على الجماعة وسلطة الدليل النقلي – تحقيقا للفعل الحجاجي في بعده التواصلي، لما انبثق عنها من حمولة إنجازية حملت معاني التأثير في المتلقي ومن ثم توجيهه توجيها إقناعيا.

4. حقق توظيف ابن الأنباري الصيغ الشرطية في البنى الحوارية معاني إنجازية حملت في مضمونها التحدي والإفحام، مما جعل خطابه في هذا المقام تشاركيا مع الخصم بغية إظهار عجزه وإلزامه الحجة، ومع المخاطب بغية حمله على الإذعان والتسليم.

5. يعد لجوء ابن الأنباري إلى توظيف الدليل النقلي في استدلالاته اللغوية مظهرا تتأصل معه خصيصة التشارك الحجاجي، خاصة وأن الدليل النقلي الخاضع لمعايير اللغة وقواعدها يمثل مرجعية مشتركة بين أطراف التخاطب (المتكلم، والمتلقي) في قبول التوجيهات اللغوية.

المصادر والمراجع

1. الأنباري، عبد الرحمن بن محمد، لإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، 2003.

2.ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

3 . بو علي، فؤاد، الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي العربي،عالم الكتب الحديث، إربد، 2011

4 .جعفورة، محمد معز، الذات والآخر (الحجاج أنموذجا)، دار الكتب العلمية، بيروت. 2016

5.الحباشنة، صابر، التداولية والحجاج مداخل ونصوص. صفحات للنشر، دمشق، 2008

6. السرتي، زكرياء، الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، عالم الكتب الحديث، إربد، 2014.

7 .الشهري، عبد القادر بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004.

8 .الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ت: يوسف الشيخ، المكتبة العصرية، بيروت، ط5، 1999.

9 . الريفي، هشام، الريفي، هشام، الحجاج عند أرسطو، بحث منشور ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، إشراف: حمودي صمود، الناشر: جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ، تونس، 1998.

10 .طروس، محمد، النظرية الحجاجية، مكتبة الادب المغربي، دار الثقافة، المغرب، 2005.

11 .الطلبة، محمد سالم، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتب الجديدة المتحدة، ليبيا،2008.

12.عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1998،

13 .عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2000.

14.عكاشة، محمود، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة (دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم)، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2013.

15.عمر، بوقمرة، وظائف اللغة في ضوء نظريات الاستعمال (وظيفتا الإنجاز والحجاج أنموذجا)، بحث منشور، مجلد 24، العدد1 الجزائر، 2017.

16 .الغزاوي، أبو بكر، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرقاب الحديثة، بيروت، 2010.

17 .الغزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، المغرب، 2006.

18. المتوكل، أحمد، الخطاب وخصائص اللغة العربية، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط، 2010.

19 .هاليدي، وظائف اللغة، ترجمة: محمود نحلة، مجلة اللسان العربي، الرباط، العدد54، 2002.